

حقيقة الجهاد وآدابه في ضوء الكتاب والسنة دراسة نموذجية

إعداد:

سنوس أحمد بللو

Sanusi Ahmad Bello

Sanusiahmadb@gmail.com

0703259720

Abstract

The study extracts the most important prophetic directives learned through the *sunnah* of the holy Prophet (PBUH). Every Muslim must be concerned with this *sunnah* of the Prophet and ensure total compliance. The study deals with the foundations of interest in the power of Islam and Muslims and the spread of Islam in a way that deepens Islam from the souls and hearts of people based on the most important sources of Islam. The paper contains an introduction of seven points and a conclusion such as Jihad and its literature; preaching with wisdom and good advice; when and in the right of whom legalized jihad? Also, Islam's keenness and preference for peace and wellness; the presence of the Imam and his obedience; warning against conflict and the necessity of compliance and honoring parents from jihad.

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله وما كنا لنهتدي لولا أن

هدانا الله، والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد:

فإن لفظ الدين والإسلام يشمل جميع
الأمر من الأركان والعبادات في
مختلف شؤون الحياة، ففي القرآن الكريم
الدعوة إلى الإسلام، والإخلاص لله
والعبادات المفروضة الصلاة والزكاة
والصيام والحج، والمعاملات والجنائيات
والحدود، وأسباب القوة وطرق الدعوة
وأحكام الجهاد والتيسير، والحث على
الأخلاق الحسنة، والآداب الحميدة،
والتحذير من الأخلاق السيئة، وكذلك في
السنة كما في الصححية والسنن مع كتب
الأدب والرفاق والطب فجميع هذه الكتب
هي في الواقع تفسير لمعنى ((الإسلام
والدين)) وهذا يعني أن كل ما في هذه
الكتب هو من العبادات.

وقد حاولت من خلال هذا البحث
استخلاص أهم التوجيهات النبوية
المستفادة من السنة النبوية التي هي جزء
من الدعوة التي جاء وأمر بها نبينا
ﷺ ويجب على كل مسلم أن يدرك أن
معني بها، ولو بامتثاله وتخلقه بهذه
الأخلاق النبوية، كما يتناول البحث
الأسس والأحكام التي سلكها وحث عليها
النبي ﷺ لما فيه المصلحة من قوة

الإسلام والمسلمين ونشر الإسلام
بصورة يتعمق فيها الإسلام من نفوس
وقلوب الناس، مستندا في ذلك على أهم
المصادر الإسلام.

والله أسأل التوفيق والعفو عن كل خطأ
وتقصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين. وهذا البحث يحتوي على مقدمة
سبعة نقاط وخاتمة وهو كالتالي:

النقطة الأولى: الجهاد وآدابه

النقطة الثانية: الدعوة بالحكمة والموعظة
الحسنة

النقطة الثالثة: متى وفي حق من شرع
الجهاد؟

النقطة الرابعة: حرص الإسلام وإيثاره
للسلم والعافية

النقطة الخامسة: وجود الإمام وطاعته

النقطة السادسة: التحذير من التنازع
ووجوب التطاوع

النقطة السابعة: بر الوالدين من الجهاد

النقطة الأولى: الجهاد وآدابه

• حقيقته وآدابه

لقد اهتم العلماء – رحمهم الله تعالى – بهذا لجانب فألقوا المصنفات التي لم تترك شاردة ولا واردة إلا وأشارت إليها إما صراحة وإما تلميحاً.

وهذا ما نجده في صحيح البخاري ومسلم في كتاب الجهاد والسير، وكذا في كتب السننⁱ، بعضهم يسميه كتاب الجهاد، كما عند مسلم، وبعضهم أفرد للجهاد كتاباً آخر كما صنع النسائي، وجمعوا كل يتصل بهذا البابⁱⁱ.

وموضوع الجهاد يتصل بالدعوة، والحقوق والأمانة، والفقهاء ويتصل بالمعاملات قبل القتال وأثناءه، وبعده، وأحكام الأسرى والفيء والأطفال، والغنائم، وتقسيم الخمس، وأحكام المعاهدات من أمان وهدنة وصلاح وعقد ذمة، وأحكام البغاة، والخوارج، والمرتدين، والمحاربين.

إن الإسلام حيث شرع هذه الأحكام والآداب قد حقق وقصد بذلك مصالح كثيرة لجميع خلق الله تعالى.

منها: ضبط الأمور، وجعلها كما أراد الله تعالى ونبينا محمد ﷺ وذلك لا يأتي إلا بالخير كله.

منع أصحاب الأهواء، والأحقاد من استغلال هذا الأمر في أسراف وإهلاك الناس باسم الإسلام، أو لمجرد الاختلاف معهم، فالإسلام شرع الأحكام

في قتال من لا يؤمن بأركان الإسلام، ودلت السنة على الوعيد لمن قاتل مسلماً شهد الشهادتين، فكيف بمن هو أصلاً ولد ونشأ عليها؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرض كل الحرص على دعوة الناس والصبر على إظهار إجاباتهم.

○ المصالح الكثيرة ومنها تشجيع الناس على الدخول في الإسلام من خلال علمهم وإدراكهم بأن الإسلام لا يهزمه بالدرجة الكبيرة المسارعة إلى قتال الناس، والتعرض لهم أو لأعراضهم أو ممتلكاتهم، وحتى إذا ما حدث هناك لقاء فإن المسلمين يخضعون لأوامر وأحكام وآداب صادرة من الشارع الحكيم، وقد يعاقب من يخالف هذه الأحكام.

وقد روى البخاري حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله بالمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمةⁱⁱⁱ)).

قال الحافظ: فيه إشارة إلى اعتبار الإخلاص.

وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل ثواب في كل حركة وسكون، لأن المراد من الصائم القائم، من لا يفتر ساعة العبادة فأجره مستمر وكذلك المجاهد تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب كما في قوله تعالى: $\text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك} \text{ك}$ ^{iv} $\text{ك} \text{ك} \text{ك}$

وعند البخاري أيضا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله))^v

قال الحافظ: في رواية الحاكم ((أي الناس أكمل إيمانا)) وكان المراد بالمؤمن من قام بما تعين عليه القيام به، ثم حصل هذه الفضيلة، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية، وحينئذ فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النفع المتعدي، وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة، لأن الذي يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام، فقد لا يفي هذا بهذا، وهو مقيد بوقوع الفتن^{vi}

وهذا يدل بوضوح على أن الجهاد عبادة وطريق دعوة ولا بد أن يكون

المجاهد عارفا بحقيقة الجهاد الذي هو في سبيل الله، ولأن من كمال الإيمان امتثال الواجبات الأخرى من الأحكام والآداب وخاصة المتصلة بالجهاد.

من أهم التوجيهات النبوية في السيرة النبوية ما يستفاد من قول وفعل النبي ﷺ أثناء الدعوة ونشرها وخاصة بعد الهجرة وبدء الجهاد.

لقد بين النبي ﷺ حقيقة المجاهد، وهدفه، وهو ما ثبت في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله))^{vii}

وفي الحديث ذم الحرص على الدنيا، وعلى القتال لحظ النفس في غير الطاعة^{viii}

ويفهم من جواب النبي ﷺ أن كل إنسان ينبغي عليه أن يحاسب نفسه ويكون على بينة من أمره في إرادته للجهاد.

كما يفهم أيضا أن المجاهد الحقيقي الصادق هو الذي عرف حقيقة الإسلام والإيمان، وتعلم الأحكام، وخاصة فيما يتعلق بالجهاد، وتفقه في مشروعيته

محكمة في جهة العصاة من الموحدين ومن صوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة^{xi}. والله أعلم.

وهذا هو الأساس في نشر الإسلام، وهو أول قواعد، وأحكام الجهاد، وأصدق دليلا على ذلك حديث بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ وأبا موسى إلى اليمن، حيث قال لهما: ((يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا))^{xii}.

قال القاضي - رحمه الله - فيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور، والرفق بالناس، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة والتنفير لقلوبهم، لا سيما فيمن كان قريب العهد به.

وقد ثبت في البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بكتابة إلى كسرى فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى.

وأورد البخاري هذا الحديث في الترجمة المستفادة من الحديث حيث قال: باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه؟

وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال^{xiii}. والمراد بالدعوة أي إلى الإسلام. ولا شك أن الدعوة قد وصلت إلى الملوك قبل إرسال النبي ﷺ كتبه إليهم، ومع ذلك لم يبدأهم بالقتال، وإنما سلك الطريق الأصلاح والأسلم والأيسر، وهو الحكمة والموعظة الحسنة كما يظهر من أول الحديث: عظيم البحرين.

وفي الحديث أيضا: ((وكتب إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر))^{xiv}.

قال الحافظ: وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة، وأن الكتابة تقوم مقام النطق. وفيه إرشاد المسلم إلى الكافر.

وفي الحديث المطول عند البخاري بعد وصول الكتاب لقيصر، ثم استحضاره لأبي سفيان، وفيه: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين

چ ف ف ف ق ف ق ق ج ج چ
 چ ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج
 چ ي د ت ذ ث ذ ث ذ ث ج ج ج ج ج^{xv}

هذا هو الأصل والحق في الدعوة وهو الذي فيه الخير، والمصلحة، لأن الحكمة من الجهاد هو إدخال الناس في الخير، وتحقيقه لهم، وليس الهدف هو استغلال الجهاد لأموال دنياوية وحظوظ شخصية.

ومما يوضح الحرص على جعل الأولوية في الدعوة بالحكمة والصبر ما ثبت في البخاري يوم خيبر، حين أعطى النبي ﷺ الراية لعلي رضي الله عنه فقال: علي: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: ((على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم))^{xvi}.

هذا هو الوحي والشرع، والأسوة الحسنة وفيه كل الخير، وما خالفه ليس فيه إلا الشر.

وهذا مع يهود خيبر الذين لا يجهل أحد ما قاموا به من مؤامرات، ودسائس، وتعاون مع قريش والمنافقين، وحتى بعد إخراجهم من المدينة جعلوا من خيبر مر كزا لمحاربة النبي ﷺ وإضعاف المسلمين ومع هذا كله لم يستعجل النبي

ﷺ في مهاجمتهم، بل ولم يطمع في ذريتهم وأموالهم وسفك دمائهم، بل كان يرجو أن يسمع إذانا أو استجابة، وهذه من أحكام وآداب الجهاد التي أراد النبي ﷺ تعليمها لأمتيه.

ويستفاد من الحديث أيضا مراقبته صلى الله عليه وسلم لعماله ونوابه وسؤالهم، والتأكد من معرفتهم وإداركهم للقيام بما أرسلوا من أجله، وليس الأمر فقط هو تأميرهم وإرسالهم ليتصرفوا حسب اجتهادهم. وهذا يتفق مع ما رواه البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى خيبر فجاءها ليلا. وكان إذا جاء قوما بليل لا يغير عليهم حتى يصبح^{xvii}))

قال الحافظ - رحمه الله تعالى: في الحديث الأخذ بالأحوط في أمر الدعاء لأنه كف عنهم في تلك الحالة مع احتمال الأ يكون ذلك على الحقيقة^{xviii}.

النقطة الثالثة: متى وفي حق من يشرع الجهاد؟

لقد استمر النبي ﷺ وأصحابه ملتزمين بالصبر، والعفو، والصفح ولم يحاولوا مقاتلة المعتدين والظالمين إلا بعد أن جاء الإذن من الله تعالى، وذلك في قوله عز

يذهب الأنفس والأموال، أو يدرك منه ضرر^{xxv}.

ويؤخذ من الحديث الإشارة بالدعاء إلى وجوه النصر عليهم ولسعيد بن منصور من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي عن النبي ﷺ مرسلا نحوه لكن بصيغة الأمر عطا على قوله ((وسلوا الله العافية: فإن بليتيم بهم فقولوا اللهم)) فذكره وزاد: ((وغضوا أبصاركم واحملوا عليهم على بركة الله))^{xxvi} وفي الحديث استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار، ووصية المقاتلين بما في صلاح أمرهم، وتعليمهم بما يحتاجون إليه ، وسؤال الله تعالى بصفاته الحسن وبنعمه السالفة، ومراعاة نشاط النفوس لفعل الطاعة، والحث على سلوك الأدب وغير ذلك^{xxvii}.

النقطة الخامسة: وجود الإمام وطاعته:

لقد جاءت النصوص مؤكدة على ضرورة وجود الأمير مع الأمر بالطاعة إلا إذا أمر بمعصية.

والمقصود بالأمير، القائم بشؤون الناس، الذين هم الجمهور والأكثرية الساحقة من الأمة، وقد أمر القرآن الكريم بطاعة أول الأمر لما في ذلك من اصالح العامة وقوة الأمة كما قال تعالى: *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاقَهُمْ* ^{xxviii}

وروى البخاري حديث ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد أطاع الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من روائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه))^{xxix} وقوله ((إنما الإمام جنة)). بضم الجيم أي سترة لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم عن بعض في أموالهم وأنفسهم فهو ستر لهم وحرز لهم من ذلك ولمراد بالإمام كل قائم بأمر الناس والله أعلم^{xxx}.

وقال القاضي: أي أنه كالساتر وكالترس لمنعه وحمايته ببيضة السلمين، واتقائهم بمكانه ونظره عدوهم، وهو معنى قوله ((يقاتل من روائه))^{xxxi}.

قال ولا يجوز الخروج على الإمام العدل بالاتفاق وجمهور أهل السنة من أهل الحديث والفقهاء أنه لا يخلع بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه ونصحه والصبر عليه لأن ما تؤدي الفتنة إليه من الخروج أشد^{xxxii}.

النقطة السادسة: التحذير من التنازع ووجوب التطوع:

ويشهد له ما أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسألهم أفضل الأعمال، قال: (الصلاة) قال: ثم مه؟ قال: (الجهاد) قال فإن لي والدين فقال: (أمرك بوالديك خيرا). فقال والذي بعثك بالحق نبيا لأجاهدن ولأتركهما قال: ((فأنت أعلم))^{xli} وهو محمول على جهاد فرض العين توفيقا بين الحديثين وفي الحديث فضل بر الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على برهما^{xliii}.

الخاتمة

من خلال تتبع هذا البحث يمكن استخلاص أهم النتائج التي تضمنها وهي:

- أن الإمام مسؤول عن أفعال رعيته وأتباعه وأنه يجب عليه

توجههم وتعليمهم أحكام وآداب الجهاد حتى لا يقع الفساد وسفك الدماء بغير حق.

- أن أولوية في الدعوة على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر واستنفاد مختلف السبل القتال.
- مراقبة ومتابعة الإمام لعماله ونوابه والتأكد من التزامهم بالأحكام الشرعية في الجهاد ومعاينة من يخالفها.
- متى وفي حق من شرع الجهاد؟
- النهي عن تمني لقاء العدو وسؤال الله العافية وحمد الله عليها
- أهمية ومكانة الإمام وضوابط طاعته والتحذير من التنازع.
- تعدد صور الجهاد وأن منه بر الوالدين.

المصادر والمراجع

- i البخاري 3/6 (56)، مسلم، الصحيح بشرح القاضي إكمال المعلم. 28 /6.
ii السنن الكبرى للنسائي، 264/4 – 310، كتاب الجهاد وكذلك كتاب السير، 5/8، سنن أبي داود 6/3 (9) سنن سعيد بن منصور، 117/2.
iii البخاري 6/6 (ح 2787) مسلم الصحيح مع إكمال المعلم، 6:289. (ح 1778)
iv التوبة: ١٢٠
v البخاري 6 / 6 (ح 2786)
vi الفتح: 6/6
vii البخاري 6 / 6 (ح 281)
viii الفتح 6 / 29
ix البخاري (ح 2937).
x النحل: ١٢٥
xi الجامع لأحكام القرآن ج:10 ص 200
xii صحيح مسلم 37/6 (1733)
xiii البخاري 108/6؛ (22939) صحيح مسلم مع إكمال المعلم 117/6 (ح1773)
xiv البخاري (ح 2940)
xv آل عمران: ٦٤
xvi البخاري (ح 2943)
xvii البخاري (ح 2945)
xviii الفتح 6 / 112
xix الحج: ٣٩
xx البخاري 75/1 (225) ومسلم 242/1 (20)
xxi البخاري 49/1 (8)
xxii البخاري (ح 3025)
xxiii الفتح 6 / 156
xxiv سنن سعيد بن منصور 204/2 (2519) الفتح 6 / 156 – 157.
xxv إكمال المعلم 6 / 43.
xxvi سنن سعيد 2 / 205 (2521)
xxvii الفتح 6 / 157
xxviii النساء: ٥٩
xxix البخاري 6 / 116 (ح 2957)
xxx الفتح 6 / 116
xxxi إكمال المعلم 6 / 249
xxxii إكمال المعلم 6 / 246 - 247
xxxiii البخاري ج:6 ص:162
xxxiv الأنفال: ٤٦
xxxv البخاري 6 / 162 تفسير عبد الرزاق 1 / 260 القسم الأول
xxxvi البخاري 6 / 140 (ح 3004)

- xxxvii صحيح مسلم بشرح النووي 104 /16 ، كتاب البر والصلة، سنن سعيد منصور، 232 /2 (2335)
- xxxviii سنن أبي داود 37 /3 (2528)، الإحسان، 326/1 (424)، سنن سعيد / 131 (2332)
- xxxix سنن أبي داود 39 /3 (2530)، الإحسان 325/1 (423)، مسند أحمد، 188/2 ، 192 ، سنن سعيد 131/2
- (2334)
- xl الفتح 140/6 ، شرح مسلم للنووي 104 /16 روضة الطالبين 413/7، الإحسان 113/3 (1719)
- xli الفتح 141 /6
- xliii الفتح 10 / 400 باب البر والصلح (ح 5972)